هذه اللحظة على أنها نقطة بدء لنوع من الهداية . فقد تعدل مباشرة حكم إيفان بعد أن اخذت الكنيسة بقيـاده ، وكوفيء سيلفستر على شجاعته الروحية وتمت العناية بنصائحه واتبعت في معظم نقاطها . وحدث أن سيلفستر كان صديقاً للكاهن الكسي ارداتشيف الذي كان قد عين حاجباً للقيصر ، وكان ارداتشيف تقياً بطبعه وله وجه قديس فتي ، فتوصل هذان الرجلان لأن يتمتعا بمكانة متميزة في البلاد .

ويبدا أن بناء كنائس وبيوت للشعب أمر مقدس في حد ذاته ، وهكذا بدىء ببركة الله بإعادة بناء موسكو ، وانقضى عيد ميلاد ايفان في آب اغسطس وسط رنين الفؤوس وألواح الخشب السميك . وبروح من الندم وتأنيب الضمير توجه إلى المهندسين والعمال الذين بدؤوا بترميم الكنائس المحروقة بهذه الكلمات : :

« إن من لمستحيل علي أن أصف مالحق سنوات شبابي من جنون مجرم ولن تكون لغة البشر قادرة على أن تفعل ذلك . فعندما انتـزع الله مني والدي لم يكن البويار والكبار الذين كان ينبغي عليهم بحكم مركزهم أن يكونوا حراساً ورعاة لمصالحي ، لم يكونوا يسعون إلـى السلطة إلا من أجل انفسهم رغم ماكانوا يبدونه لي في الظاهر من نية طيبة ، وفي حلكة مداولاتهم انقضوا على إخوة ابي فقتلوهم . وعندما ماتت امي اغتصبوا السلطة لانفسهم . وبسبب من ذنوبي ويتمي ويفاعتي قتل عدد كبير من الناس في منازعات داخلية ، وكبرت مهملاً بدون تعليم قاسي الطبع بسبب من تصرفات البويار المخاتلة ، ومنذ ذلك الوقت كم من مرة اخطأت في حق الله وكم من العقوبات انزلها بنا ! . ليس لمـرة واحدة أو مرتين اننا سعينا للانتقام من أعدائنا وإنما كنا نفعل ذلك دائماً وبدون نتيجـة . وانا لا افهم كيف يرسل الله لي كل هـذه العقوبات ولا اندم واتوب بل استمر في ممارسة كل انواع الشـدة والعنف على الشعب المسيحي . لقد عاقبني الله بسبب ذنوبي بالفيضان والمجاعـة ولم اندم مع ذلك يومذاك ، وأخيراً ارسل الله لي هذا الحريق فدخل